في اليقظة وحتى ان المراهق الذي لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد وقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة
لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه
الطبيب والفقيه لانه انما يظهر له في حالة النوم ما حصلت له مناسبة مع القلب في حالة اليقظة بطول الالف
او بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب
من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب
طول الالف فطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك يخالف ايضا منامات الصالحين منامات
الفساق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل اليها نفسه فربما يقبض على
ذلك روحه ويكون ذلك سوء خاتمة وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر
في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله فكذلك آحاد المنامات لها اسباب عند الله تعالى نعرف البعض
ولا نعرف البعض كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما
بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر
واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة
فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من
شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة او واسطتين مثل ان ينتقل من شيء
الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن بينه
وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك انتقالات الخواطر في المنام اسباب
من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت فمن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي
والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عن ذلك وفي قمع الشهوات من القلب

فهذا

فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر
عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك
نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة
وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت ولقد قال بعض العارفين من السلف ان
العرش جوهرة يتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها
فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف
له في القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا
الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء
من اجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله
سبحانه والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا
وان كان لطول الالف فيها تاثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان
ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات لعسر عليه ذلك وان
كان لكثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر في ذلك ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية
تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ
ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف وجوب حسن ادب المريد لشيخه وانه لا يكون في قلبه انكار
لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم الكركاني منامًا لي فقلت رايتك
رأيت انك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فما هجرني شهرا ولم يكلمني وقال لي لولا انه كان في باطنك
تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لما جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى
الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه هذا هو القدر الذي يسمح بذكره في المعاملة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)